



افترض أن ساعي البريد طرق بيتك في يوم من الأيام، وسلمك خطاباً من البنك الأهلي يخطر في فيه بأن شهادة الاستثمار فئة ج رقم كذا "والمشترأة باسمك منذ سنوات، قد ربحت جائزة قدرها خمسون ألفاً من الجنيهات... فماذا يكون شعورك؟ طبيعي أنك ستفرح وتبتهج، ومن يقول غير ذلك فإنه غير صادق... فلماذا أن هذا المبلغ غير المنتظر سوف يحقق لك بعض الرغبات والأحلام ويذلل بعض الصعوبات لكن... هل يضمن لك هذا المبلغ سعادة دائمة؟ هل يضمن لك دوام الصحة؟ هل يحقق لك السعادة الزوجية؟ هل يضمن لك النجاح في امتحان عسير تجتازها؟ أو تستطيع بهذا المبلغ شراء محبة الناس الحقيقية واحترامهم؟ أعتقد أننا جميعاً نعرف أن الجواب على هذه الأسئلة... هو بالمنفي فهناك أشياء كثيرة لا يمكن أن نشترىها بالمال. بل كثيراً ما يكون المال نفسه سبباً في النزاع بين الأقارب والداخوة، وتوتر العلاقات بين الناس.

لا ينكر أحد أنه يوجد أناس أشقياء تعسون بسبب الحرمان المادي.. فهناك من يحتاجون إلى قوت يومهم الضروري، وهناك من يعانون المتاعب بسبب عدم وجود مسكن مناسب لهم... لكن الماخبار يؤكد أن المقتنيات المادية ليست كل شيء في هذه الحياة. وهناك أناس تعسون بسبب عدم قدرتهم على تحقيق أحلامهم وطموحاتهم، ولكننا لا بد أن نعترف بأن كثيراً من هذه الأحلام تفوق قدرتهم.. فالناس يسعون سعياً متواصلاً لتحسين مستواهم الاجتماعي، ويلهثون في هذا السعي، بعضهم يسقط سريعاً دون أن يحقق الكثير والبعض الآخر يصاب بالإحباط ويفقد الأمل ويظل يندب حظه في هذه الحياة...

لا أريد أن أقوم بدور واعظ يخدر نفوس السامعين بأحلام الأبدية السعيدة، وينصحهم بأن يقبوا ثابتين ومحتملين آلام هذه الدنيا طمعاً في قصر في الجنة. إن هذا الاتجاه السلبي يتنافى مع روح التدين الحقيقي، ولما أريد للناس أن يكونوا حامليين يقبلون المذلة في الحاضر الأرضي أملاً في حلم السماء في المستقبل الأبدى فإن الله قد أثار لنا بواسطة الإنجيل الحياة والخلود... لا الخلود فقط ولكننا يجب أن ننقي أذهاننا وأفكارنا التي تتعلق بطموحنا من الطمع.. فمن المؤكد أن كثير من الناس محرومون من السعادة لأنهم طماعون... فقد قال السيد المسيح لرجل متخاصم مع أخيه بسبب الميراث:

"انظروا وتحفظوا من الطمع فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياتهم من أمواله" لو 12: 15 فالطمع يسوع الإنسان ويجعله يلهث حتى يموت وهو يجري وراء الكسب دون أن يشبع... وكثيراً ما نفقد السعادة بسبب المبالغة في الإنفاق، فالمسرف والسكير يفتقران كما قال الحكيم فكثيراً ما يكون ذلك بدافع الفخر الكاذب والكبرياء وحب الظهور أمام الغير...

يجب أن نعترف أن بعض العادات الاجتماعية المتأصلة فينا والمتوارثة من الأجيال السابقة، تتحكم فينا وتجعلنا نتصور أن المكرم والشهامة يتطلبان منا أن نرهق أنفسنا بالديون في سبيل الظهور بمظهر مشرف أمام المجتمع في ضيقاتنا وحفلاتنا وأفراحنا بل وحتى أحزاننا أيضاً!!

إن السعادة الحقيقية ليست فيما تملك، ولكن في تعلمك أن تكون مكتفياً شاكراً، فكثيرون أشقياء بسبب الملهفة المستمرة على المقتنيات رغم أنهم يملكون الكثير، لذلك: قال الكتاب: "إن التقوى مع القناعة تجارة عظيمة" (1 تي 6: 6) وكثيرون تعساء لأنهم تعلموا أن ينظروا دائماً إلى نواقص حياتهم فيشعرون دائماً بعدم الرضى بالواقع.. فقد تجد إنساناً عنده الكثير لكنه لا يشكر لأنه يريد أكثر.. وقد تجد إنساناً ليس لديه إلا القليل لكنه يشكر من أجل هذا القليل.

ما أسعد الإنسان الراضي الفرحان بما يملك وبما قسم الله له من الرزق، وفي نفس الوقت لا يكون متواكلاً أو كسولاً أو خاملاً... تلك هي السعادة.